

-٩٧-

وهذا الرأي الذى سبق لايتفق فى فكرته العملية مع ما تقرره الدراسات اللغوية الحديثة التى تقر أن وجود المشتركة بجانب اللهجات أمر طبيعى فى اللغات ، وليس ذلك خاصا باللغة العربية وحدها ، وليس من جسامه الخطورة بالصورة التى يصورها السيد الباحث ومن يرى رأيه ، وقد عالجت هذا الموضوع فى بحث سابق تحت عنوان «مجال الصراع بين اللهجات والفصحى^(١)» ولكن على الرغم من ذلك فقد كان الدين الإسلامى يعامة والقرآن بخاصة من العوامل التى ساعدت فى الحفاظ على قوة اللغة العربية وصفاتها فى هذا المدى الطويل ، وعن ذلك الطريق - طريق اللغة - نلمس أيضا أثر الدين فى القومية .

* * *

«الرسول عربى والرسالة التى جاء بها حملها العرب» من هذه العبارة يتحدد المسلك الرابع الذى يسلكه الإسلام إلى القومية .

ذلك أنه كان لشخصية محمد (ص) جانبان مضيئان يتكاملان معا . وتؤيدهما النصوص التى وردت فى القرآن وفى أحاديث الرسول وأفعاله ، فهو باعتباره صاحب دعوة ورسالة قد جاء لجميع البشر ، لا فرق فى ذلك بين عربى وغير عربى ، ولا بين أسود وأبيض ، جاء فى القرآن (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) و (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) ويقول الرسول (ص) (ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى) و (بعثت إلى الناس كافة) .

فهو من هذا الجانب إنسانى يؤدى رسالة الله إلى جميع البشر ، ويبلغها إلى الناس ، كل الناس .

ولكن محمدا باعتباره فردا نشأ فى المجتمع العربى ، وعاش فيه ، وتأثر به ، وأثر فيه ، مع تقدير الدور الهام لهؤلاء العرب فى أداء رسالته العامة للناس ، كان يمتاز بعروبيته ، ويقدر خطرها نورها فى تحقيق رسالته والوصول إلى أهدافه ، وهذا إحساس طبيعى بشرى لا غرابة فيه ، إحساس بالولاء العظيم لقومه ، واعتزاز من الفرد بمجتمعه ، وتقدير

(١) سبق هذا البحث فى هذا الكتاب .